(٨٧) إبراهيم بن شهريار[١]

ذكر الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن شهريار رحمه الله الكازروني:

كان رحمه الله وحيدًا في زمانه، فريدًا في وقته وأوانه، وله نَفَسٌ مؤثّرٌ، وكلامٌ مقبولٌ، وصدقٌ وإخلاصٌ وورع كامل، وكان في الطريقة ذا نظرٍ حادٍّ، وفي الفراسة ذا اعتبارٍ.

وكان جدُّه مجوسيًا، وعلى المَجوسية خرج من الدُّنيا؛ ولكنْ أبوه وهو شهريار قد أسلم، وولادةُ الشيخ رحمه الله كانت بكازرون[٢]، وله هناك زاويةٌ معمورةٌ، وأوقافٌ كثيرة، وله إلى اليوم شهرةٌ في الدنيا، وأعلامٌ باسمه المبارك تُدارُ في أطراف العالم.

نقل أنَّ أربعةَ آلاف من اليهود والمجوس أَسلموا على يده.

وكان رحمه الله يقول: ما أَلبسُهُ، لا أَلبسُ إلاّ لله.

وقال رحمه الله: كم من الناسِ يدعون الله تعالى، ويسألونه خمسين سنةً، وليس لهم حاصلٌ من ذلك ولا ثواب؛ لأنَّ نيَّتَهم ليستْ صافيةً خالصةً تابعةً لسنة رسول الله ﷺ.

نقل أن رجلاً من الأجناد كان يحبُّ أن يَقْبَلَ منه شيئًا، وهو ما كان يقبلُهُ، حتَّى أنَّه أرسلَ إلى الشيخِ رسولاً، وقال: إذا أعتقتُ عددًا من العبيد، وجعلتُ الثَّوابَ لك؟ فقال الشيخ: إعتاقُ الرقيق هيِّنٌ؛ ولكنَّ الرجلَ من يجعلُ الحرَّ عبدًا بالرفق والإحسان.

---

(١) كشف المحجوب ٣٨٨، سيرة عبد الله بن خفيف ٢٥٩، شذّ الإزار ٤٩، نفحات الأنس ٣٦٩.

(٢) كازرون: مدينة بفارس، بين البحر وشيراز. معجم البلدان.

نقل أن الشيخ رحمه الله كان يتكلّمُ للناس، ويعظُهم، وكان هناك شخصٌ من أهل العلم، فخطر بباله: أنّي أكثرُ منه علمًا، والحالُ أنّي لا أجدُ مقدارَ القوتِ إلاّ بمشقَّةٍ عظيمة، وهذا الشيخُ ليس كثيرَ رسوخٍ في العلم، وله هذا القبولُ والجاه، وبيده أموالٌ كثيرة. فلمّا خطرَ هذا بباله نظر الشيخُ في الساعة إلى قنديلٍ معلّقٍ في المسجد، وقال: وقعت معارضةٌ بين الماء والدهن اللذين في القنديل، فقال الماء للدهن: أنا أفخرُ منك وأشرفُ، وأعزُّ وأفضلُ، وأنتَ تصدَّرتَ عليَّ واستقررتَ فوقي، وما هذا إلاّ على خلافِ العادة. فأجابه الدهن وقال: لأنَّكَ لا تدري ما جرى عليَّ من المشقَّة في الزرعِ والحصد والدّياسِ، ثم العرضِ على النار، ثم الدقِّ بحجرِ المعصرة، ثم العصرِ، ومع هذا كلِّه فإنّي أحَرقُ نفسي، وأنوّرُ المسجدَ للحاضرين، فلذلك حصلَ لي تَفوّقٌ عليك، وأنت لا تلحقني لا في الأوَّلِ ولا في الآخر.

أقول: قال بعض الظُّرفاء في هذا المعنى:

يرى النَّاسُ دُهنًا في القواريرِ صافيًا ولم يدر ما يجري على رأس سمسم

[والله أعلم].

فلمّا تمَّ المجلسُ، قامَ الرجلُ وذهب إلى الشيخ، وحكى له الحال، وشرع يُقبِّلُ يديه ورجليه، ويعتذرُ إليه.

نقل أنه قال: عجبتُ من رجلٍ يكونُ له قميصٌ أبيضُ نقيٌّ، ثم يُسلّمه إلى الصبّاغ، ويُعطيه الأجرةَ ليصبغه بالسواد. وكان الفقيه أبو الحسن حاضرًا، فخطر بباله أنَّ الشيخَ يقول كذا، والحالُ أنّ له طيلسانًا مصبوغًا بالنيل، فالتفت إليه الشيخ في الحال، وقال: صِبْغُ طيلساني بنيلٍ جيءَ به لي من كرمان، من وجهٍ حلال.

أقول: كان مُرادُ الشيخِ قدس الله سرَّهُ من القميص إنَّما هو: القلبُ الخالي في مبدأ فطرته عن الكُدورات. والمراد بالصبّاغ إنما هو: النفس الأمّارة. وبالسواد الصِّفات الذميمة لها، فإذا سلّم الشخصُ قلبَه إلى النفس ـ يعني جعله

تابعًا لها ـ فالنفسُ تؤثِّرُ فيه تأثيرًا ظاهرًا، وتجعلُه مورد الخبائث. إلى أن سوّد صفحته البيضاء يُريد به ما ورد في الحديث: «كلُّ مولودٍ يُولدُ على فطرة الإسلام، فأبواه يمجِّسانه أو يهوّدانه أو ينصّرانه»[1]. أو المرادُ بالقميص الأبيض: النفسُ الخالية أيضًا في أوّل أمرها عن الذمائم والمدائح أيضًا، ولها استعدادُ اكتساب كلٍّ منهما. والمُراد بالصبَّاغ الشيطانُ المُضلُّ المغويُّ. وبالصبغ متابعتُهُ وموافقته التي بها يحصل سوادُ الوجه في الآخرة، نعوذُ بالله من غضبه وسخطه. [والله أعلم].

قال رحمه الله: ثلاثٌ من الطوائف لا فلاحَ لهم: البخيل، والملول، والكسلان.

أقول: يعني الملول من العمل، وهو الذي يَعمل لا عن طيبِ القلب. والكسلان أيضًا في العمل وهو الذي يتركُ العمل رأسًا لكسالته. [والله أعلم].

وقال: قدّمْ أخاك في شرعٍ تُريدُه لنفسك، يقدّمْك اللهُ تعالى إلى الجنَّة، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ـ ١١] أو إلى قبض رحمة.

وارداتُ العلم والمعرفة والحكمة من عنده تبارك وتعالى.

وقال: لا ذنبَ أعظمُ من تحقير العبدِ المؤمن.

أقول: وذلك لأنَّ الله تعالى أثبتَ له العزّةَ، وجعلَهُ تلوًا في العزّة لرسوله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فيكونُ تحقيرُه متضمِّنًا لتكذيبِ الله تعالى، وذلك كفرٌ، والكفرُ من أعظمِ

---

(١) روى البخاري في صحيحه (١٣٥٩) في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ومسلم (٢٦٥٨) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والموطأ (٥٢) الجنائز، باب جامع الجنائز، والترمذي (٢١٣٩) في القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، وأبو داود (٤٧١٤) في السنة، باب ذراري المشركين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، وينصّرانه، ويشرّكانه».

الذنوب، ولا شكَّ أنَّ تحقيرَ المؤمن لكونِهِ مؤمنًا. أي لأجل إيمانه. [والله أعلم].

وقال رحمه الله: التصوفُ أمرٌ صعبٌ، وشغلٌ شديد، يقتضي الفقرَ والجوعَ والعري، وتحمّلَ الجفا عن كلِّ أحدٍ والحقارة، فإن كان لك احتمالُ هذه الأشياء فادخلْ في باب الفقر، وإلاّ فأنت وشأنك.

وقال: يا ضعيفُ، خفْ من القويِّ.

وقال: قال الشيخ: إخلاصُ ساعةٍ سببٌ لنجاةِ الأبد، ولكنّه عزيز ـ أي قليل.

وقال لأصحابه: اجتنبوا عن الاغترارِ بتقرّبِ الناس إليكم، وتقبيلِ الناس أيديَكم؛ فإنَّكم لا تعلمون أيَّ آفةٍ فيه.

ونقل أنه كان يقول للمسافرين: إذا وصلتُمْ في سفركم إلى مكانٍ حصلَ لكم فيه ضررٌ فارجعوا عنه، لأنَّ إيصالَ الضرر والمكروه إشارةٌ إلى أن الرجوع خير.

ونقل أنّه رحمه الله تعالى لمّا حضرته الوفاةُ وصَّى أن يكتبوا أسَامي الأشخاصِ الذين أَسلموا على يديه، والذين تابوا على يده في صحيفةٍ، وكذلك أسماء الذين زاروه والتمسوا منه الدعاء، ويدفنونها معه؛ ليكون ذلك حجةً له عند ربّه، ففعلوه كما أمر.

نسألَهُ أن يجعلَه من الفائزين بمرضاته، ويسكنَهُ في فراديس جنّاته، ولا يحرمنا بفضله العميم عن إنعاماته وإحساناته، وأن يحشرنا في زمرة نبيِّه محمّدٍ عليه السلام وآله.

* * *